



الأتين 17 نوالقعدة 1423هـ - 20 يناير 2003 - العدد 246



## كيف يصاغ تاريخ العالم



تأليف: تيلو شابيرت

الناشر: كلويت - كوتا - فرانكفورت 2002

الصفحات: 594 صفحة من القطع الوسط

تيلو شابيرت، مؤلف هذا الكتاب، هو محلل سياسي ألماني مختص بالشنون والعلاقات الأوروبية، سبق له وقدم العديد من الدراسات حول الوحدة الألمانية، يعمل المؤلف استاذاً في جامعة «أيرلانجن» الألمانية.

يبحث المؤلف في هذا الكتاب «كيف يصاغ التاريخ» على ضوء تجربة إعادة توحيد شطري ألمانيا ومن خلال الدور الذي لعبته فرنسا في عملية التوحيد هذه، ومن المعروف ان فرنسا وألمانيا تشكلان في واقع الأمر «المحرك الأساسي» في مسيرة التوحيد الأوروبي وكانت ألمانيا قد عاشت منقسمة خلال عدة عقود من الزمن بين «ألمانيتين»، ألمانيا شرقية «شيوعية» وألمانيا غربية «رأسمالية».

وان كان مؤلف هذا العمل يعود في تحليلاته لمسيرة «التقارب» بين الألمانيتين الى عهد المستشار الألماني الأسبق «ويلي برانت» الذي تبنى ما يسمى آنذاك بـ «السياسة الشرقية - الواقعية» والتي مثلت أولى خطوات «تطبيع» صورة الألمانيتين الشرقيين لدى الرأي العام الألماني الغربي، فإنه - أي المؤلف - يركز بشكل خاص على دراسة الفترة التي أعقبت سقوط جدار برلين في أواخر عام 1989 وبداية انهيار الكتلة الشيوعية وصولاً إلى انهيار الاتحاد السوفييتي السابق عام 1991.

ويبدو من خلال التحليلات المقدمة ان الرئيس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتران قد لعب دوراً كبيراً في دفع مسيرة التوحيد الألماني إلى الأمام وذلك على خلفية قناعات ثابتة لديه عبر عنها باستمرار بالقول ان «المسألة الألمانية هي مسألة أوروبية» وكان الرئيس ميتران قد أقام علاقات متميزة مع المستشار الألماني السابق هلموت كول.. الذي كان قد اعتبر مسألة إعادة توحيد ألمانيا بمثابة أهم انجاز قد عرفته حقبة السنوات التي كان فيها مستشاراً لألمانيا الاتحادية.

ينطلق المؤلف في تحليلاته للدور الفرنسي في إعادة توحيد الأمة الألمانية من جملة كان الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران قد حرص على كتابتها «على ظهر» البطاقة التي تدل على مكونات وجبة العشاء أثناء استقبال المستشار الألماني هلموت كول بتاريخ 18 نوفمبر 1989 أي بعد عشرة أيام فقط من انهيار جدار برلين تقول هذه الجملة:

«هناك مخرج ذو حدين» تطور في الشرق وبناء في الغرب، ما قصده بـ «البناء في الغرب» هو «الاندماج الأوروبي» ولم ينس الرئيس ميتران ان يضيف ما كان يردده باستمرار «المسألة الألمانية هي مسألة أوروبية، بالطبع لم يكن ذلك العشاء مكرساً بصورة رسمية لمناقشة مسألة إعادة توحيد ألمانيا، كما يشير مؤلف هذا الكتاب، لكنه يؤكد بالوقت نفسه ان تلك المسألة كانت تشغل في الواقع أذهان جميع الحضور.

لعل الميزة الأساسية لهذا الكتاب تتمثل في المعلومات والاحداث الدقيقة الكثيرة التي يتم نشرها للمرة الأولى، ذلك ان المؤلف قد حصل على الأذن بالاطلاع على الارشيف الخاص لقصر الاليزيه، مقر رئاسة الجمهورية الفرنسية، وأيضاً على محاضر اللقاءات بين المسؤولين الفرنسيين والألمانيين على أعلى المستويات، وخاصة بين الرئيس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتران والمستشار الألماني السابق

هلموت كول حيث ربطتهما صداقة وطيدة وكانا يقومان بلقاءات دورية على الرغم من اختلاف مشربيهما الايديولوجيين،

إذ كان ميتران قد وصل إلى سدة رئاسة الجمهورية كمثل لمعسكر اليسار في فرنسا بينما كان كول ممثلاً للديمقراطيين المسيحيين، أي القوة اليمينية الأساسية في الحياة العامة الألمانية منذ الحرب العالمية الثانية.. ذلك ان «الجرح الغائر» الذي سببته تلك الحرب والاحتلال النازي لفرنسا وحرب التحرير الوثائق الرسمية الفرنسية، يشكل «امتيازاً نادراً» جداً.. لا سيما وان هذه الوثائق تتضمن مذكرات خاصة كان المستشارون المقربون من الرئيس فرانسوا ميتران قد قدموها له وكان هو نفسه - أي ميتران - قد كتب بخط يده العديد من التعليقات والآراء عليها، كما كانت تتضمن محاضر جلسات الحكومة الفرنسية التي تخص مناقشة المسائلتين الألمانية والأوروبية.

ما يؤكد مؤلف هذا الكتاب هو ان موقف الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران حيال ألمانيا وحيال إعادة توحيد شطري ألمانيا كان متبايناً جداً عن مواقف الرؤساء الفرنسيين الآخرين منذ الحرب العالمية الثانية.. ذلك ان «الجرح الغائر» الذي سببته تلك الحرب والاحتلال النازي لفرنسا وحرب التحرير التي خاضها الفرنسيون بعد أن أعلن الجنرال شارل ديغول تشكيل جيش فرنسا الحرة انطلاقاً من لندن عام 1940، كان لم يندمل بشكل كامل بعد.. لكن ميتران نفسه كان قد شهد تطوراً كبيراً في موقفه خلال الأشهر القليلة التي شهدت تارجح المعسكر الشيوعي خلال نهاية عام 1989 وبداية عقد التسعينيات الماضي..

بل لا يتردد المؤلف في القول ان الرئيس ميتران كان «مسكوناً» في البداية بـ «الخوف» من إعادة توحيد ألمانيا، ولربما انه قد رغب بـ «عاقبة» هذا التوحيد لكنه كان بكل الحالات مدافعاً متحمساً عن ضرورة تحقيق أوروبا الموحدة، التي كان الجنرال شارل ديغول نفسه قد دعا إلى تحقيقها من المحيط الأطلسي وحتى جبال «الأورال».. وضمن هذا الاطار يتم الحديث عن «البعد الديغولي» لدى فرانسوا ميتران.. تجدر الإشارة هنا إلى ان «ميتران» كان قد رشح نفسه لمنصب رئيس الجمهورية الفرنسية ضد المرشح «الفانز» شارل ديغول في أواسط عقد الستينيات.

تجدر الإشارة هنا أيضاً ان هذا الكتاب يسد ثغرة تتعلق باستعراض الموقف الفرنسي من إعادة توحيد ألمانيا، وذلك بعد ان كانت الحكومة الألمانية قد فتحت ارشيفها للباحثين والمؤرخين قبل أربع سنوات، وكان مستشارا الرئيس الأميركي الأسبق جورج بوش الأب «فيليب زيليكوف» و«كونداليزا رايس» قد كشفت من جهتهما عما اسمياه بـ «المساهمة الحاسمة» للولايات المتحدة الأميركية في جعل ألمانيا أمة موحدة من جديد وذلك بالاعتماد على الوثائق الأميركية، بهذا المعنى يكون هذا الكتاب قد أكمل البحث عن التنقيب في الوثائق الفرنسية وفي الارث السياسي للشخصيتين الرئيسيتين أي الرئيس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتران والمستشار الألماني السابق هلموت كول.

ويؤكد المؤلف في هذا السياق ان الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران كان على قناعة كاملة بأن إعادة التوحيد الألماني هي بمثابة «مصير تاريخي» لا بد ان يتحقق وذلك في فترة كان القادة الألمانيون انفسهم يستبعدون مثل هذا المصير في الأفق المنظور.

ويشير الباحث الألماني إلى ان فرانسوا ميتران كان قد تحدث عن قناعاته إلى المستشار الألماني الأسبق «هلموت شميت» بعد أن تم انتخابه لرئاسة الجمهورية الفرنسية للمرة الأولى عام 1981، بينما لم يكن هذا الموضوع مطروحاً على جدول الأعمال، بل كان يعتقد بأنه لا ينبغي ان يكون موجوداً عليه، كان فرانسوا ميتران ينظر إلى الألمانيين من موقع «المواطن الفرنسي الذي ينظر للألمانيين بشكل طبيعي على أنهم مواطنون ألمانيون».. وهذا يترتب عليه نتيجة واحدة لا فكاك منها وهي «إعادة توحيد ألمانيا» إذ «لا بد من وضع حد نهائي لحالة انقسام منافية للطبيعة».

يصف مؤلف هذا الكتاب الرئيس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتران بأنه «ثوري ومتحفظ» بالوقت نفسه.. كان «الثوري» فيه يحيى بحماس رياح «الحرية» التي كانت «سماتها الأولى» تهب بهذا القدر من القوة أو ذلك، على بعض بلدان المعسكر الاشتراكي آنذاك.. أما «المتحفظ» فقد كان يخشى تحديداً هذه الرياح.

وينقل المؤلف عن فرانسوا ميتران قوله: «لا شك ان الفوضى ليست أفضل بالنسبة لنا من النظام المسيطر حتى الآن، وكان يقصد بالنظام «المسيطر حتى الآن» شيوع حالة من «السلام المسلح لكنه سلام» كذلك ينقل المؤلف عن ميتران قوله ذات يوم لميخائيل غورباتشوف آخر رئيس للاتحاد السوفييتي «السابق» حول ألمانيا الموحدة، ان ذهني يعاني من حالة انقسام،

كان ذلك القول عام 1985، أي عام استلام غورباتشوف للسلطة، وكان ما يقلق ميتران هو بالتحديد موقع ألمانيا الموحدة في قلب أوروبا الوسطى، وما يمكن ان تمثله من «ثقل راجح» في اطار أوروبا الموحدة.. ويركز المؤلف في تحليلاته ضمن هذا الاطار على القول ان المفهوم الدفاعي الأوروبي كان يشغل كثيراً اهتمام فرانسوا ميتران لذلك كان يكرس جهوده ويبدل أقصى مساعيه من أجل ان تكون عملية اعادة توحيد ألمانيا في خدمة «تعميق مفهوم المجموعة الأوروبية الموحدة» وينقل المؤلف عن الرئيس الفرنسي الراحل كتابته في احدى مذكراته لوزير خارجيته «هوبير فيدرين» ما يلي: «ان مسألة الايقاعات المتناغمة بين اعادة توحيد ألمانيا والتكامل الأوروبي هي مسألة ذات أهمية جوهرية».

بالمقابل يبدو موقف المستشار الألماني السابق «هلموت كول» أقل حماساً للتوحيد الأوروبي من الصورة الشائعة عنه والتي يروج لها المحللون الألمانيون عامة.. ويؤكد مؤلف هذا الكتاب ان المستشار الألماني السابق لم يكن يريد حتى قبل سقوط جدار برلين الالتزام بالجدول الزمني الخاص بتحقيق الوحدة النقدية الأوروبية، وكان موقفه «المتردد» يقوم على أساس حسابات «انتخابية» شخصية هذا في الوقت الذي كانت باريس تلح فيه على الاسراع بتبني «اليورو» كعملة أوروبية موحدة، ويبدو نفس الموقف المتردد من قبل هلموت كول حيال «المشروع» الأوروبي الموحد في رفضه المستمر للقيام بأي «ترسيم نهائي» للحدود الألمانية - البولندية.

وفي المحصلة النهائية يصل مؤلف الكتاب إلى القول ان الهدف الحقيقي للرئيس الفرنسي الراحل «فرانسوا ميتران» كان استخدام الوحدة الألمانية التي ستكون بمثابة حدث خلاق في ألمانيا كي تصبح حدثاً خلاقاً أوروبياً، وبهذا المعنى يبدو بمثابة احد الشخصيات الاكثر أوروبية خلال القرن العشرين، وهذا ما يعبر عنه المؤلف بالحديث عن «ميتران مواطن أوروبي». وصفحة من التاريخ القريب للعلاقات الفرنسية - الألمانية.

wie weltgeschichte gemacht wird

frankreich und die deutsche einheit

Tilo schabert klett- cotta

frankfurt 2002

p.594

عودة الى البيان

الأعداد السابقة

عودة الى الصفحة الرئيسية

books@albayan.co.ae

حقوق الطبع محفوظة لدى مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر